# العلوم

## ٦ ـ بحث فى أصل الانسان

بقـــلم نعيم على راغب
دبلوم عال فى الجغرافية

من تلك الفكوك المتحجرة التى وجدناها عرفنا أنه قد عاش فى الغابات الاستوائية فى أوائل عصر البليوسين نوع من القردة الكبيرة ، وأنه قد كان لنوع من أنواع الغوريلا أو الشمبانزى أو أورانج بورنيو وسومطره كبير الحجم يمت الى الانسان بالشبه من وجوه مختلفة . وأننا نعرف أن أصناف القردة التى تسمى Anthropoids والتى تمثلها قرد الأورانج والسيامى كانت موجودة ، وأنه كانت هناك كذلك أنواع أخرى تختلف كثيراً عما نراه فى نظيراتها اليوم ، إلا أنها كانت من أصل واحد . ولذلك فان من الممكن القول أن ذلك النوع الذى تفرع وتطور منه الانسان كان موجوداً فى أوائل عصر البليوسين

ونحن إذا تقدمنا فى بحثنا الى عصر الميوسين فانه لا يمكننا أن نجد فيه أى أثر إنسانى . وليس فى استطاعة من يعرف أن بحثنا لم يكن إلا قصير المدى ولمدة وجيزة وأن هناك معلومات قيمة جيولوجية لم يكشف عنها بعد ، إلا أن يقول إن الانسان لم يوجد فى عصر الميوسين بشكله الذى نعرفه به . وليس هناك أى شك فى أن أواخر ووسط عصر الميوسين كانت فترة تطور كبيرة مدهشة فى عالم القردة ، دليلنا على ذلك ما قد كشف بين ثنايا طبقات ذلك العصر من متحجرات وبقايا مما لا يقل عن عشرة أنواع من أنواع القردة الكبيرة التى فاق حجمها حجم الانسان . وكانوا عمالقة إذا ما قورنوا بما قد سبقهم من الأنواع الكبيرة . ولما كان الانسان عملاقاً أوليا بالنسبة لباقى المخلوقات وكانت هذه الحيوانات وأحجامها أمام فكرنا ، فانه لا يسع الانسان إلا أن يشك فى أن الانسان قد تفرع فى ذلك الوقت عن فرع منها .

أما معلوماتنا عن هذه القردة فقد بنيناها على ما قد وجدناه من بقايا فكوكها وحطام أسنانها . يقول عنها بعض العلماء إنها بقايا نوع من القردة الكبيرة كان متجها نحو التطور الانسانى ، ولكن لا يمكننا الحكم بذلك من مجرد بقايا لفك أو بضع أسنان ، لأنه قد سبق لنا أن مظهر الفك وشكله لا يدلان على نوع صاحبه كما عرفنا فى انسان البلتدون . ولكن البرهان الحقيق الذى يمكننا أن ننتزع منه الحقائق الثابتة هو الجمجمة وعظمة الفخذ والقدم ، وهذا ما لم يوفق اليه أحد حتى الآن

لكننا مع ذلك يمكننا القول جدساً بأن قردة عصر الميوسين برغم اختلافها فى الشكل والتكوين عن نظيراتها فى العصر الحالى

---

بعد تردد ، وهم لا يعملون عملاً متفقاً عليه ولا يتحركون كالآلة ، بل تبدو من خلال شخصياتهم الأرادة القوية والشعور باحترام أنفسهم ، وبرغم الحوادث والكوارث التى تنتابهم تراهم محتفظين بنزاهتهم الأدبية وباستقلالهم فى الرأى والحكم

فشارلس مورجان يعد أيضاً من هذه الناحية من المؤلفين الارشاديين ، وهو يوجه قراءه إلى مثل عال واضح محدود . وفى الوقت الذى يتلمس التأليف الروائى الانجليزى سبلاً للوصول إلى نوع جديد ، نرى مورجان يسلك طريقاً مبتكراً ، وهو يشبه فى فنه « برنسيس دى كليف » وغيرها من القصص التى يجمع أبطالها بين الشهوة والاتزان فيفخرون بتحمل آلامهم باحثين عن الراحة فى شعورهم بالاخلاص للمثل الأعلى

وخير ما أختتم به هذه الدراسة المقتضبة أن أردد ما قاله الناقد الروائى للملحق التيمس الأدبى :

« إن الذين تطربهم الشهرة والذين يعترفون بقوة الالهام ويقدرون أيضاً نعمة إظهار الأخلاق على حقيقتها وتحديد العواطف البشرية ورسمها ، والذين يميلون بفطرتهم إلى آداب النثر الفنى الانجليزى وعظمته يستطيعون أن يجدوا كما وجدنا هذه الآثار الرائعة فى روايات شارلس مورنجان »

محمد أمين حسونه

لا تختلف عنها فى شىء آخر ، وقد وجدت آثار لصغار القردة التى يمثلها نوع الجيبون وتمتاز أسنانها بصغرها ، مختلفة فى ذلك عن باقى الحيوانات التى كانت منتشرة فى غابات الملايو . وإننا لا نشك لحظة فى القول بأنه إذا كان هناك عالم حيوانى قد نزل الأرض من كوكب آخر منذ ٧٠٠ ألف سنة لوجد كل الأجناس موجودة بها ما عدا الانسان ، وهذا معناه أن الانسان كما نعرفه الآن لم يوجد قبل تلك الفترة ، ولكن هل كان الانسان الأول موجوداً فى ذلك الوقت ؟ أو هل كان أصل الانسان الذى تفرع عنه موجوداً فى ذلك الوقت ؟ . . لا يسعنا إذا نظرنا إلى كمال جسم الانسان وتمامه قبل نهاية عصر البليوسين إلا أن نقول إن الانسان فى تطوره أو تفرعه عن شجرة الأجناس ( كما سنطلق عليها الآن ) قد بَعُد عن أن يكون قرداً أو عن نوع القردة من بدء عصر الميوسين على أقل تقدير ، وهذا ما احتاج إلى ملايين السنين ، وربما كان ذلك قبل ذاك الوقت حيث عصر الأوليجوسين

ولنجل اليوم جولة أخرى حيثُ يقودنا الماضى السحيق الذى يبعد عنا بما لا يقل عن نصف مليون سنة إلى عصر مبكر من عصر الأوليجوسين حينما كانت الغابات تغطى شمال أفريقيا ومنطقة الصحراء الكبرى والسودان ، وحينما كان يغمرها نهر عظيم فياض كان يفيض فى الشمال والجنوب مكوناً دلتا عظيمة كانت مكان دلتا النيل الحالية ، وتظهر آثارها فى الفيوم على شكل ربوات عالية من الطباشير ، غنية بحفرياتها التى تمثل نوع الحيوان الذى كان يسكن شمال أفريقيا فى النصف الأول من عصر الأوليجوسين ، ولذلك نوجه بحثنا إليها .

فى سنة ١٩١٠ كشف بها عن اكتشافات هامة هى أسنان وحطام أفكاك ثلاثة أنواع غريبة من الأنواع الأولى البائدة . وكان أشد ما أدهشنا فى تلك الأسنان أنها صغيرة الحجم ، وأن تلك الأنواع صغيرة الحجم لا يتجاوز حجمها حجم القرد الأمريكى المعروف باسم Marmoset ونسبة حجم جسمها إلى جسم الجيبون توازى نسبة حجم ذلك إلى حجم القردة الكبيرة . إلا أنه قد كشف أن أحدها وهو الذى أطلق عليه Propliopithecus عت بصلات تقربه جداً إلى النوع المعروف باسم الجيبون . وإنا نشك فى أن هذا النوع الذى ذكرناه قد يكون أصل قردة الأوليجوسين والميوسين والأنواع التى يطلق عليها اسم الجيبون

وقد وجد الباحثون هيكل قردين آخرين : الأول صغير الحجم ( وقد وجدا بالقرب من الفيوم ) يظن أنه قد تفرع عن أصل قردة الجيبون وقردة الدنيا القديمة . وفى هذا النوع الذى وجدوه نلتمس القرابة والتشابه المحسوس مع قردة الأيوسين . أما الهيكل الثانى فانه لقرد صغير يظن أنه من حلقات تطور القردة الأولى

وإن منطقة الفيوم هذه قد أعطتنا فكرة عن قردة الدنيا القديمة وتطورها فى عصر الاوليجوسين ، وهذه الفكرة تكفينا لنعرف أننا نقترب فى بحثنا ونتعمق فى عصر من الدرجة الأولى لتطور أنواع القردة الى عصرنا هذا الذى تختلف فيه أنواع القردة الأولى ، ولو أن كليهما من عنصر واحد وتركيب واحد

وقد أمكننا من بحثنا فى صخور الاوليجوسين أن نعرف ونرى بوضوح تام أنه لم يوجد فى ذلك العصر أى نوع من الأنواع الانسانية أو القردة ، بل وجد أصل كل تلك الأجناس العظيمة

ولم نكن نريد أن نتعمق أكثر من هذا فى بحثنا ونصل فيه الى عصر سحيق متناه فى القدم يمثله العصر المعروف باسم عصر الايوسين ، إلا أننا علمنا أن العلامة الكبير الأستاذ ف . وود جونز وهو من عباقرة هذا العصر Prof. F. Wood Jones يصرح بأنه يؤيد أصحاب النظرية التى تقول إن الانسان قد تفرع من شجرة الأجناس وابتعد عن باقيها من عصر الايوسين حينما أخذت ذوات الثدى تعدل من شكلها ويتخذ كل منها له صفات ومميزات تميزه من غيره

لذلك نقول إنه قد وجد فى طبقات عصر الايوسين وبخاصة فى الولايات المتحدة وفرنسا متحجرات لأنواع كثيرة جداً من ذوات الثدى البائدة وكلها صغيرة الحجم . وقد وجد ضمنها نوع يشابه القردة التى أطلق عليها اسم Tarsioid وهذا النوع قد باد ولم يبق ما يماثله الآن سوى نوع واحد يعيش فى غابات الملايو سريع الحركة براق العينين واسعها لا يظهر إلا بالليل ويطلق عليه اسم Tarsius

ويعتقد الأستاذ وود جونز أننا فى بحثنا هذا سوف نجد حتما سلسلة متتابعة من الهياكل المتحجرة التى تثبت لنا أن أصل الانسان يرجع الى سلف من أسلاف هذا النوع ( Tarsius ) وبذلك يعطى للانسان وأصله عمراً يقدر بنحو مليونين أو ثلاثة ملايين سنة ؟

يتبع نعيم على مانجب